لا سامحكم الله

عندما تساءلت عن أسباب انجراف بعض شبابنا إلى الإرهاب قلّبت فكري ونظري واستلهمت الماضي والحاضر، واستلهمت خبرتي كمعلم لمختلف المراحل العمرية، وكأب لأبناء في مراحل حساسة جداً من حياتهم، فلم أجد سبباً واضح المعالم أكثر من التنطّع والتشدد الذي لا يقود إلا إلى الإنفجار باستمرار، ولا أنكر وجود أسباب أخرى بطبيعة الحال، ولكن أغلب من يذهب من شبابنا إلى أتون الصراع ومن ثمّ العمالة لأجندات الشرق والغرب هم ممن تظهر عليهم ما تعارفنا عليه بعلامات الصلاح!

مشائخ التحريم، مشائخ التشدد والتنطع وسد الذرائع، مشائخ بيع الأوهام وتغييب العقول، مشائخ العادات التي أُلبست لباس التقوى، دم شباب المملكة في رقابهم، ولا أكاد أشكّ في ذلك، لا سامحهم الله!

يقول محمد الماغوط – رحمه الله –: « إذا لم يجد الإنسان وسيلة للتعبير عن ذاته عبر المسرح والفنون والكتابة وممارسة الهوايات البريئة فإنه يضطر للتعبير عن ذاته بشكل بدائي أو بطريقة وحشية كما تفعل الحيوانات مع بعضها » انتهى كلامه.

فمن المسؤول عن التضييق على الشباب في كل مكان وفي كل الأمور برأيكم؟!

كل شيء عيب، كل شيء حرام، حتى معظم ما يعيشه السعودي داخل منزله هو في نظر المتشددين حرام، أمور خلافية بين العلماء أصبحت حراماً و (عيب وشق جيب) عند بني القبيلة والعادة الجاهلية، وألبسوها ظلماً وعدواناً وهوى من عند أنفسهم عباءة الدين.

وكانت النتيجة أن يخرج الشاب متناقضاً تائهاً مهزوز الشخصية، يخرج لينزوي مع أقرانه هناك في الزوايا المظلمة ليمارس بعض البراءة خوفاً من المجتمع، ينجرف، ينحرف، تتلقفه أيادي السوء، تتخطفه أفكار الموت.

يصبح تابعاً بكل سهولة، يتأثر بأي عامل خارجي، لأنه هشٌّ من الداخل، شخصيته ملغاة، يشعر بانعدام الوزن في مجتمعه، يحاول أن يغير النظرة تجاهه.

يحلم أن يكون رجلاً، بطلاً، أن يكون ذا قيمة، فيجد ضالته في الانجراف وراء الأفكار السوداء التي تأخذه إلى فوهة المدفع فوراً، فهو رصاصة جاهزة، هو رصاصة طائشة، مغيَّبة، مأزومة، ناقمة، تريد التشظي لإيقاع أكبر الخسائر، هو متبرم من وضعه، ناقم على مجتمعه، يريد الموت، يريد الانتحار، فيجد من يقنعه بسهولة بالانتحار بشكل أفضل لينعم بالحور العين، ولذا فإنني لم أستغرب أن يكون معظم الانتحاريين في داعش والقاعدة من صغار السعوديين.

عندما يعيش المرء شخصيته هو كيفما كانت بخيرها وشرها، ظاهرها كباطنها دون رهبة وخوف وتوجس من المجتمع، فإنه يحقق ذاته، ويشبع رغباته التي في معظمها بريئة بمقاييس جميع الأمم، وفي أطر أخلاقية لا تعتدي على الغير، وحينئذ تكون نفسه صحيحة سليمة معافاة.

أما حين يصبح ممثلاً، ولاعباً على الحبال، ومنافقاً للناس لإرضاء العادة والتشدد فقط دون قناعة، فإنه سيصبح عليل النفس ممسوخ الشخصية سقيم الفهم سهل الانقياد، يدرس شيئاً ويجد في مجتمعه ومنزله شيئاً آخر، يتغنى الجميع أمامه بالمثاليات ثم تتوالى عليه خيبات الأمل من المثاليين الذين هم أول من يخالف أفكارهم، يحفظ ويحفظ ويحفظ فقط لأن هناك من يعلي من قيمة المستويات العقلية الدنيا، ثم نجده لقمة سائغة لكل من حرك عقله قليلاً، فيلتقطه أول من (يفهم) بسرعة البرق.

سطحي العقل، مغلق الأفق، رغم كل ما تعلمه، لأنه كان يحفظ فقط، النقاش

ممنوع، والرأي واحد، ولا قيمة لتفكيره، فألغى عقله، وأعلن لا شعورياً عدم قناعته بما يسمع، ورفضه لكل ما يقدم له، وأصبح منافقاً كما يراد له، نسخة أخرى من الطاهر المصطنع، فلا نال بلح الشام ولا عنب اليمن، لذا لم أستغرب أبداً أن أجد سعودياً متعلماً يتصرف كالأمي تماماً، ولا خريجاً جامعياً يشرب بول إبل (كورونا)، ولا دكتوراً في الجامعة يقطع الإشارة، ولا إنساناً ذا عقل يقدم آلاف الريالات علفاً لناقته، ولا من يكرم ضيوفه بغسل أيديهم بدهن العود أو بنثر مئات الكيلوات من الهيل تحت أرجلهم، ولا من يطاردون ذود فلانٍ كالصبيان في عمق الصحراء.

إنها اختلالات فكرية ونفسية عميقة لا يمكن تفسيرها إلا بشيئين، الرفض للواقع جملة وتفصيلاً بظلامه ونوره، مما فوت فرصة الوعي والتحضر والاستفادة من النور، ثم القناعة التامة بأن النفاق ومشابهة الآخرين أقرب طريق للنجاح.

وربما سأل أحد عن علاقة عبارتي السابقة بالتشدد، وإجابة السؤال تتضح حين يفهم السائل أن التشدد قام بتعكير نبع المجتمع فمرضت أسماكه وسهل اصطيادها.

هذه هي أهم الأسباب من وجهة نظري أنا فقط، لا ألزم بها أحداً، ولا حتى أجزم بصحتها.

لكنني أزعم أن الشاب إذا وجد البيئة الجاذبة له داخل منزله، وشعر بقيمته وأهميته، وتمتع بقليل من الحرية لممارسة هواياته وإبداعه وتحقيق ذاته دون وصاية وتقريع وخوف، فإنه لن يخرج من منزله الصغير، وعلى ذلك فقيسوا، واعتبروا السعودية بيت شبابنا الكبير، وانظروا مدى التشديد عليهم باسم العيب والحرام، واحكموا!

obeikandl.com